الباب الثاني

الإدغـام

- الفصل الأول: الإدغام في الحرفين المثلين.
- الفصل الثاني: الإدغام في الحرفين غير المثلين.

obeikandi.com

الإدغام

تمهيد:

تناولنا في الباب السابق – عرضاً لجانب من الفكر الصوتي الذي قدمه سيبويه في كتابه، أو على نحو خاص، في القسم الأخير، من كتابه، الواقع تحت عنوان الإدغام.

وكان فكر هذا العالم وبحثه، في هذا الجانب، يقتصر – أو يكاد يقتصر- على جانب الوصف العضوي والنطقي للأصوات، من حيث هي أصول أو فروع للأصول، ومن حيث هي مجهورة أو مهموسة، وشديدة أو رخوة، أو بين الشديدة والرخوة، ومطبقة أو منفتحة...الخ .

غير أنّ وصف سيبويه، لهذه الأصوات، لم يكن مستقلاً أو منعزلاً عن تصوره العام للوظائف التي يمكن أن تضطلع بها. لذلك فقد وجدناه يصف، في أثناء حديثه عن تلك الأصوات، بعض التنوعات، أو الصور الصوتية السياقية التي يمكن أن تتخذها بعض الوحدات الصوتية الرئيسة في اللغة. كما أننا وجدناه ينص – بالإضافة إلى ذلك- على أنّ هذه الأصوات التي تحدث عنها ، هي أصوات تنتمي إلى لغة حية منطوقة يحتاج الباحث – من أجل تبيُّنِها والتعرف إليها- إلى مشافهة أبنائها الناطقين بها.

obeikandl.com

وهذا يعني أن سيبويه لم يرد أن تكون دراسته للأصوات مقصورة على جانبها الآلي العضوي، وإنما أراد لدرسه الصوتي أن يكون شاملاً للنظام الصوتي للغة العربية، بحيث يشمل معالجة الظواهر الصوتية من ناحية وظيفتها اللغوية. لذلك فقد وجدناه يخصص – في كتابه- باب الإدغام من أجل وصف النظام الصوتي للغة العربية وتصنيفه . وهكذا فإنّ دراسة التشكيل الصوتي، والوظائف التي تنهض بها الأصوات العربية في تجاورها، وارتباطاتها، ومواقعها، كانت جزءاً من الاهتمامات اللغوية لهذا العالم عندما شمّر عن ساعديه ليبحث في الجانب الصوتي، أو لنقل في الجانب الفونولوجي للغة العربية.

لقد كان موضوع الإدغام المدخل الرئيس الذي عالج سيبويه – ومعظم اللغويين العرب القدامى- من خلاله القضايا الصوتية للغة العربية . وقد جاءت تلك المعالجات والدراسات الصوتية – التي انضوت، على نحو مباشر، تحت باب الإدغام- في نهاية مؤلف سيبويه الخالد الموسوم بالكتاب، وفي نهاية معظم المؤلفات اللغوية العربية الأخرى، مثل كتاب المفصل للزمخشري، وشرح المفصل لابن يعيش، وكتاب الجمل للزجاجي، وكتاب الشافية لابن الحاجب، وشرح الشافية للرضي، وكتاب همع الهوامع للسيوطي...، وغيرها.

ويبدو أن سيبويه كان البادئ والرائد في هذا المنهج، الذي ترسَّم خطاه فيه معظم الذين جاءوا بعده. وكان الأَوْلى بهذا العالم أن يبدأ درسه للغة – على غرار ما تفعل الدراسات اللغوية الحديثة – بدراسة أصواتها، فصرفها، فنحوها، على اعتبار أن علمي الأصوات والصرف يمهدان الطريق أمام الدرس النحوي.

ولكن الدرس الصوتي لدى سيبويه – ولدى غيره من العلماء أيضاً– لم يكن مقصوداً لذاته ، وإنما كان وسيلة ضرورية لمعالجة بعض المسائل الصرفية في باب الإدغام بوصفه موضوعاً من الموضوعات الصرفية الصوتية Morphophonemics .

والإدغام – في اللغة– يعني "إدخال شيء في شيء. يقال: أدغمت اللِّجامَ في فم الدابة، أي أدخلته في فيها، وأدغمت الثياب في الوعاء أدخلته فيه"[1].

أما في الاصطلاح، فإنّ سيبويه يعرف الإدغام[2] –في موضع آخر من كتابه – بقوله: "والإدغام إنما يدخل فيه الأول (في النطق) في الآخر،

---

(١) ابن يعيش: شرح المفصل. ١٠/ ١٢١.

(٢) يضبط الكوفيون صيغة "إدْغام" على زنة "إفْعال" بالتخفيف، في حين يضبط البصريون –وعلى رأسهم سيبويه– هذه الصيغة هكذا "الإدِّغام" من الافتعال ، وذلك بتشديد الدال. يُنظر –على سبيل المثال:=

والآخر على حاله، ويقلب الأول فيدخل في الآخر حتى يصير هو والآخر من موضع واحد، نحو: "قد تَّركتك ويكون الآخر على حاله"[1].

ولكن اللغويين، الذين جاءوا بعد سيبويه، حاولوا تقديم بعض التوضيحات لهذا التعريف غيرِ الجليِّ الذي وضعه شيخهم؛ فابن يعيش – على سبيل المثال- يذكر أنّ الإدغام في الكلام يعني "أن تصل حرفاً ساكناً بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة، أو وقف، فيصيران لشدة اتصالهما، كحرف واحد ترتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة فيصير الحرف الأول كالمستهلك لا على حقيقة التداخل والإدغام وذلك نحو شدّ ومدّ"[2].

ويعدُّ الإدغام Total Assimilation إحدى ظاهرتين رئيستين تعرضان للأصوات من جرَّاء تأثرهما بأصوات مجاورة، أو مقاربة في الكلمة الواحدة، أو في الكلام المتصل. أما الظاهرة الثانية فيمكن تسميتها بالحذف أو الإسقاط Elision. ويرجع السبب في

= ابن يعيش: شرح المفصل. ١٠/ ١٢٠. وكذلك:

السيوطي: همع الهوامع. ٢/ ٢٢٥.

الأزهري: شرح التصريح على التوضيح. ٢/ ٧٥٦.

(١) الكتاب. ٤/ ١٠٤-١٠٥

(٢) شرح المفصل. ١٠/ ١٢١.

obeikandl.com

حدوث هاتين الظاهرتين، إلى الرغبة غير الواعية لدى المتكلم من أجل توفير الجهد في أثناء عملية النطق والكلام[١].

وقد ذهب اللغويون العرب القدامى إلى أنّ الهدف من عملية الإدغام تتمثل في "طلب التخفيف لأنه ثقل عليهم التكرير والعود إلى حرف بعد النطق به، وصار ذلك ضيقاً في الكلام بمنزلة الضيق في الخطو على المقيد؛ لأنه إذا منعه القيد من توسيع الخطو صار كأنه إنما يقيد قدمه إلى موضعها الذي نقلها منه فثقل ذلك عليه. فلما كان تكرير الحرف كذلك في الثقل حاولوا تخفيفه بأن يدغموا أحدهما في الاخر، فيضعوا ألسنتهم على مخرج الحرف المكرر وضعة واحدة ويرفعوها بالحرفين رفعة واحدة، لئلا ينطقوا بالحرف ثم يعودوا إليه"[٢]. وقد نص سيبويه على ذلك في معرض حديثه عن التضعيف، عندما قال: "فإذا تحرك الحرف الآخِرُ، فالعرب مجمعون على الإدغام، وذلك، فيما زعم الخليل أولى به؛ لأنه لما كانا من موضع واحد ثقل عليهم أن يرفعوا ألسنتهم من موضع ثم يعيدوها إلى ذلك الموضع للحرف الآخر، فلما ثقل عليهم ذلك أرادوا أن يرفعوا رفعة واحدة"[٣]. وقد ذكر سيبويه ذلك في مواضع أخرى من

(1) Daniel Jones, The Pronunciation of English P. 136

(٢) ابن يعيش: شرح المفصل. ١٠/ ١٢١.

(٣) الكتاب. ٣/ ٥٣٠.

كتابه؛ فهو يذكر في باب التضعيف – على سبيل المثال- "أن التضعيف يثقل على ألسنتهم، وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد...، وذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا من موضع واحد ثمّ يعودوا له، فلما صار ذلك تعباً عليهم أن يداركوا في موضع واحد ولا تكون مهلة، كرهوه وأدغموا، لتكون رفعة واحدة، وكان أخفَّ على ألسنتهم مما ذكرت لك"(١).

وتعد ظاهرة الإدغام إحدى حالات المماثلة المشتركة بين مختلف اللغات، غير أنها تختلف – من ناحية التطبيق- من لغة إلى أخرى؛ ففي اللغة الإنجليزية تغلب المماثلة التقدمية Progressive Assimilation؛ أي تأثر الصوت اللاحق بالصوت السابق. ومن أمثلة ذلك في الإنجليزية كلمة "raced"، التي تنطق "reist"، حيث تأثر صوت "الدال" المجهور بصوت "السين" المهموس مما أدى إلى قلب صوت الدال إلى نظيره المهموس وهو صوت "التاء". أما في اللغة العربية؛ فإنّ الغالب فيها –في هذا الصدد- هو تأثر الصوت السابق بالصوت اللاحق ، وهو ما يُسمى بالمماثلة الرجعية Regressive Assimilation. ومن الأمثلة على ذلك في العربية، كلمة "الرشيد" التي أثر فيها صوت "الراء" في صوت "اللام" السابق، ممّا أدى إلى قلب الصوت الأخير – وهو صوت

(١) الكتاب. ٤/ ٤١٧.

اللام- إلى صوت مماثل للصوت الأول – وهو صوت الراء- وإدغامه فيه.

ويمكن تقسيم المماثلة وتصنيفها إلى أنواع مختلفة منها:

١) مماثلة تقدمية، ورجعية، ومتبادلة: بيِّنا – في السطور السابقة- المقصود بالنوعين الأولين من المماثلة، أما النوع الأخير – وهو المماثلة المتبادلة- Reciprocal Assimilation فيقصد بها تأثر كل من الصوتين السابق واللاحق بالآخر. ومن الأمثلة على ذلك، في اللغة الإنجليزية، ما يحدث في المركب don't you الذي يُنطق هكذا: /ɖoʊntʧʊ/ حيث اندمج الصوت (t) بالصوت (y) وأَنتجا صوتاً مركباً، Affricate[1].

٢) مماثلة كلية Total Assimilation: وهو ما يُطلق عليه، في اللغة العربية،- كما ذكرنا قبل قليل – مصطلح الإدغام، ومماثلة جزئية Partial Assimilation.

ويقصد بالنوع الأول، من هذين القسمين، تطابق الصوتين المعنيين. أما المماثلة الجزئية؛ فيقصد بها اشتراك الصوتين المعنيين في خصيصة واحدة، أو أكثر، وذلك على نحو ما وقع للنون الساكنة

(1) David Crystal – A first dictionary of linguistics & phoneics, p. 36

obeikandl.com

المجاورة للباء في كلمة "عَنْبَر"، حيث اكتسبت "النون" من "الباء" صفة الشفوية الثنائية دون الصفة الانفجارية، وتحولت إلى "ميم".

٣) وأخيراً، فإنّ من الممكن تصنيف المماثلة إلى مماثلة تجاورية Contiguous Assimilation تحدث بين صوتين متصلين اتصالاً مباشراً، ومماثلة تحدث بين صوتين غير متجاورين تجاوراً مباشراً Distant Assimilation.

ويبدو لنا أن الإدغام عند سيبويه كان من نوع المماثلة الرجعية الكلية. ولقد اتضح لنا هذا من خلال التعريف، الذي قدمه هذا العالم للإدغام، والذي سجلناه في السطور السابقة؛ فهو يذكر أنّ الإدغام إنّما يدخل فيه الأول في الآخر، والآخر على حاله، ويقلب الأول فيدخل في الآخر حتى يصير هو والآخر من موضع واحد نحو "قد تَّركتك".

غير أنّ سيبويه قد تصدى، في أثناء معالجاته لقضايا الإدغام، لمناقشة ما يعرض لبعض الكلمات المضعفة من ظواهر غير ادغامية كالحذف، والإبدال وغيرهما، وذلك على نحو ما سنرى في الموضوع الذي سنعرض له تحت عنوان "ما يعرض للتضعيف من ظواهر غير ادغامية"[1]. وسنتناول – في الصفحات الآتية– موضوع الإدغام عند سيبويه، وما يمكن أن ينطوي عليه من أفكار صوتية.

---

(١) يُنظر، ص: ٢١٩. من هذه الدراسة.

وقد خصصنا لهذا الموضوع بابين مستقلين، تناولنا، في أولهما، الإدغام في الحرفين المِثْلين، والحرفين غير المِثْلين. وتناولنا، في الآخر، الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا.

وسنحاول – فيما يأتي– دراسة كلِّ باب من هذين البابين، وما يشتمل عليه كل واحد منهما من أقسام فرعية، على نحو مستقل.

obeikandl.com

الفصل الأول

الإدغام في الحرفين المثلين

أولاً- الإدغام في الحرفين المثلين المنفصلين:

١. الإدغام الجائز.

٢. الإدغام الواجب.

٣. الإدغام الممتنع.

ثانياً- الإدغام في الحرفين المثلين غير المنفصلين:

١. الإدغام في الحرفين المثلين في الكلمة الواحدة.

٢. ما يعرض للتضعيف من ظواهر غير الإدغام.

obeikandl.com

الإدغام في الحرفين المِثْلين

يتوزع هذا النوع من الإدغام إلى قسمين، هما:

- الإدغام في الحرفين المِثْلين المنفصلين، أي في الحرفين الواقعين في كلمتين مختلفتين.
- الإدغام في الحرفين المِثْلين غير المنفصلين، أي في الحرفين الواقعين في كلمة واحدة.

وسنقدم – فيما يأتي– عرضاً موجزاً لآراء سيبويه في هذين القسمين:

أولاً– الإدغام في الحرفين المثلين المنفصلين:

تختلف حالات الإدغام، في الحرفين المثلين المنفصلين فيما بينهما، لدى سيبويه، من حيث الجواز والوجوب والامتناع. وفيما يأتي بيان بذلك:

١– الإدغام الجائز:

أ. يعدّ توالي خمسة أحرف متحركة فصاعداً، من أكثر حالات الإدغام استحساناً. وقد نص سيبويه على ذلك بقوله: "فأحسن ما يكون الإدغام في الحرفين المتحركين اللذين هما سواء، إذا كانا منفصلين، أن

obeikandl.com

تتوالى خمسة أحرف متحركة بهما فصاعداً"[1]. وقدم سيبويه، على هذه الحالة، مثالين، هما: جَعَلَ لَكَ، وفَعَلَ لَبيد؛ فقد اجتمع، في هذين المثالين، حرفان متحركان سابقان للحرفين المتطابقين المتحركين أيضاً، ثم وَلِيَ ذلك حرف متحرك، أي ما مجموعه خمسة أحرف متحركة، وذلك على النحو الآتي[2]:

جَ	عَ	لَ	لَ	كَ	فَ	عَ	لَ	لَ	بِ	ي	د
م	م	م	م	م	م	م	م	م	م		

فقد توالت – كما هو واضح – خمسة أحرف متحركة. ومن شأن هذا أن يُؤدي إلى استثقال النطق بهذه الأحرف المتحركة، فكان لا بدَّ من وجود ساكن يتخللها بهدف إحداث نوع من التخفيف في النطق. ولهذا فقد أُدغم الحرف الثالث في مثله الرابع، مما أدى إلى توسط حرف ساكن بين حرفين متحركين قبله، وحرفين متحركين بعده، فخفف ذلك من ثقل توالي خمسة أحرف – أو أكثر في حالات أخرى– متحركة.

وذلك على النحو التالي[3]:

---

(١) الكتاب. ٤/ ٤٣٧.

(٢) يشير الرمز (م) إلى كلمة متحرك.

(٣) يشير الرمز (س) إلى كلمة ساكن

جَعَلْ لَّك	ك	لَ	لْ	عَ	جَ
	م	م	س	م	م

فعلْ لَّبيد	د	ي	بِ	لَ	لْ	عَ	فَ
			م	م	س	م	م

وقد نص سيبويه على ذلك بقوله: "ألا ترى أن بنات الخمسة، وما كانت عدته خمسة، لا تتوالى حروفها متحركة استثقالاً للمتحركات مع هذه العدة، ولا بدَّ من ساكن"(١).

وينص سيبويه – بعد ذلك– على أن " البيان– أي التحريك وعدم الإدغام– عربي جيد حجازي "(٢).

ب. يحسن الإدغام إذا وقع قبل الحرفين المثلين المتحركين حرف متحرك واحد فقط، ووقع بعد هذين الحرفين المثلين المتحركين حرف ساكن وذلك نحو:

يدُ داود	د	و	ا	دَ	دُ	يَ
			س	م	م	م

(١) الكتاب. ٤/ ٤٣٧.

(٢) السابق. ٤/ ٤٣٧.

obeikandi.com

فقد توالت كما هو واضح – ثلاثة أحرف متحركة، فسكِّن أول المثلين، وهو الحرف الثاني من المتحركين في الكلمة؛ لأنه- كما قال سيبويه- قصد أن يقع المتحرك بين ساكنين واعتدال منه"[1].

وذلك على النحو الآتي :

يَ	دْ	د	ا	و	د	يدّاود
م	س	م	س			

ت. ويحسن الإدغام أيضاً، إذا وقع قبل الحرفين المثلين المتحركين، حرف مد، على اعتبار أن حرف المد هذا بمنزلة – كما قال سيبويه – الحرف المتحرك في الإدغام[2]، وذلك نحو:

ا	ل	م	ا	لُ	لَ	ك	المالُ لَك
مد			م	م	م		

ي	ظ	ل	م	و	نَ	نِ	ي	ويظلموني
مد					م	م		

(١) الكتاب. ٤/ ٤٣٧.

(٢) السابق. ٤/ ٤٣٧-٤٣٨.

obeikandl.com

فقد توالى – في هذين المثالين، وما كان على غرارهما – حرفان متحركان مسبوقان بحرف مد، عدَّه سيبويه بمنزلة الحرف المتحرك، فسكّن أولُ الحرفين المثلين المتحركين الذي قبله حرف مدٍّ بمنزلة المتحرك لئلا تتوالى ثلاثة أحرف متحركة متوالية، وذلك على النحو الآتي:

ا	ل	م	ا	لْ	لّ	ك	المالْ لّك
مد				س	م		

ي	ظ	ل	م	و	نْ	نّ	ي	يظلمونِّي
مد					س	م		

غير أنّ سيبويه ينص – عقب ذلك– على استحسان البيان في هذه الحالة بسبب اعتباره حرف المد – في الأصل– حرفاً ساكناً . فهو يقول :" والبيان ههنا يزداد حسنا لسكون ما قبله"[1].

ث. إذا وقع، قبل الحرفين المثلين المتحركين، حرف ساكن، هو الواو أو الياء، فإنّ البيان والإسكان – عند سيبويه– في هذه الحالة جائزان، كما أنّ الإخفاء جائز أيضاً شريطة أن يكون بزنة الحرف المتحرك. وذلك نحو: ثَوْبُ بَكْر، وجَيْبُ بَكْر. وفي هذا يقول سيبويه:

(١) الكتاب. ٤/ ٤٣٨.

"وتقول: هذا ثَوْبُ بَكْر، البيان في هذا أحسن منه في الألف...، وكذلك: هذا جَيْبُ بَكْر...، وإن شئت أخفيت في ثَوْبُ بكر، وكان بزنته متحركاً، وإن أَسكنت جاز، لأن فيهما مداً ولينا، وإن لم يبلغا الألف"(١).

ويجوز في هذه الحالة الجمع بين ساكنين -كما يقول ابن عصفور- "لما في الساكن الأول من اللين، ولما في الحرف المشدد من التشبث بالحركة، ولأن التقاء الساكنين فيها غير لازم إذْ قد يزول بالإظهار"(٢).

٢- الإدغام الواجب :

إذا كان الحرفان المثلان واوين أو يائين بوصفهما نصفي حركة Semi vowels، فإنّ الإدغام واجب إذا كان الحرف الأول، من هذين الحرفين المثلين، ساكناً. ومن أمثلة ذلك: اخشوْا وَّاقدا، واخشيْ يَّاسراً.

ويبدو أن السبب الذي أوجب الإدغام، في هذه الحالة، هو توافر شروط الإدغام المتمثلة باجتماع حرفين مثلين أولهما ساكن، وثانيهما متحرك. وفي هذا يقول سيبويه: "وإذا قلت وأنت تأمر: اخشيْ يَّاسرا ، واخشَوْا وَّاقدا أدغمت ، لأنهما ليسا بحرفي مد كالألف، وإنما هما بمنزلة

(١) الكتاب. ٤/ ٤٤٠-٤٤١.

(٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف. ٢/ ٦٥١.

قولك : أَحْمَد دَّاود ، واذْهَب بِّنا. فهذا لا تصل فيه إلا إلى الإدغام، لأنك إنما ترفع لسانك من موضع هما فيه سَواء، وليس بينهما حاجز"[1].

٣- الإدغام الممتنع:

أ) لا يجوز الإدغام في الحرفين المثلين إذا كانا همزتين، وذلك في مثل: قرأَ أَبوك، واقرئ أباك. يقول سيبويه:" وأمّا الهمزتان فليس بينهما إدغام ...لأنك لا يجوز لك أن تقول: قرأ أبوك فتحققهما، فتصير كأنك إنما أدغمت ما يجوز فيه البيان، لأن المنفصلين يجوز فيهما البيان أبدا، فلا يجريان مجرى ذلك"[2].

ويقصد سيبويه بكلامه هذا، أن حدوث الإدغام يفترض إمكان حدوث البيان للحرفين المتماثلين مع الاستثقال، ولكن البيان في حالة اجتماع الهمزتين ممتنع أصلاً، ولذا فإنّ الإدغام يَمتنعُ تلقائياً.

وقد نص سيبويه- في موضع آخر من كتابه- على ذلك بصراحة، فهو يقول:" ومن الحروف ما لا يُدغم في مقاربه، ولا يدغم فيه مقاربه، كما لم يدغم في مثله، وذلك الحرف الهمزة، لأن أمرها في الاستثقال التغيير

(١) الكتاب. ٤/ ٤٤٢.

(٢) السابق. ٤/ ٤٤٣.

والحذف"[1]. فسيبويه يقرر – في هذا النص- أن الهمزة تأبى الإدغام في جميع صوره ، وأن استثقالها لا يزول أو يُخفف بإدغامها ، وإنما يتم بوسائل أخرى كالتغيير أو الحذف ، وكأنه يقصد بالتغيير هنا ، ما يطرأ على الهمزة من قلب أو إبدال أو تسهيل.

وقد عرض سيبويه – على نحو مسهب- للحالات التي تعرض للهمزتين اللتين تلتقيان، وتكون كل واحدة منهما من كلمة من حيث التحقيق والتخفيف، وذكر أن الهمزة التي تتعرض للتخفيف تكون "بمنزلتها محققة في الزنة"[2].

ب) يمتنع الإدغام، إذا كان الحرفان المثلان المتحركان واوين أو يائين بوصفهما أنصاف حركات، نحو: هذا دلْوُ واقد، وظبْيُ ياسر.

ويبدو أنّ السبب في منع الإدغام في هذه الحالة، هو أن الحرفين المثلين المتحركين قد سبقا بحرف صحيح ساكن، فلو وجب الإدغام أو أجيز في هذه الحالة، لأدى ذلك إلى اجتماع ساكنين، هما: أول الحرفين المثلين، والحرف السابق عليه مما يؤدي إلى حدوث ما يُسمى في الدرس الصوتي الحديث بالعنقود الفونيمي Cluster. وهذا أمر تفر منه العربية

(١) الكتاب. ٤/ ٤٤٦.

(٢) السابق. ٣/ ٥٤٨- ٥٤٩.

ولا تستسيغه. يقول سيبويه: "وتقول: هذا دلْوُ واقد، وظبْيُ ياسر، فتُجري الواوين واليائين ههنا مجرى الميمين، في قولك: اسمُ مُوسى، فلا تدغم"[1].

ت)يمتنع الإدغام إذا كان الحرف الأول، من الحرفين الملتقيين، حركة طويلة (ضمة أو كسرة)، والحرف الثاني نصف حركة (واو أو ياء) نحو: ظلموا واقدا، واظلمي ياسرا.

ولعل السبب، في امتناع الإدغام، في هذه الحالة، يعود إلى أنّ الحرفين الملتقيين ليسا – في الحقيقة- مثلين؛ فالحرف الأول ينتمي إلى فئة الحركات Vowels وينتمي الثاني إلى فئة أنصاف الحركات -Semi Vowel-. ولو أجيز الإدغام في مثل هذه الحالة لفقدت الحركة الطويلة صفتها المميزة لها، وهي صفة المد أو الطول Length، ولأَدَّى ذلك – في حالة حدوثه أيضاً- إلى تحول الحركة إلى نصف حركة. يقول سيبويه:"وإذا كانت الواو قبلها ضمة، والياء قبلها كسرة، فإنّ واحدة منهما لا تدغم إذا كان مثلها بعدها، وذلك قولك: ظلموا واقدا، واظلمي ياسرا، ويغزو واقد، وهذا قاضي ياسر. لا تدغم"[2].

ث)لا يجوز الإدغام إذا وقع قبل الحرفين المثلين المتحركين

---

(١) الكتاب. ٤/ ٤٤٢.

(٢) السابق. ٤/ ٤٤٢.

حرف ساكن صحيح، نحو:

ا	بْ	نُ	نُ	و	ح	ابن نوح
	س	م	م			

ا	سْ	مُ	مُ	و	س	ى	اسم موسى
	س	م	م				

فلو سكّن الحرف المتحرك الأول، من الحرفين المثلين المتحركين، لأدَّى ذلك إلى اجتماع ساكنين، أو ما يطلق عليه عنقود فونيمي Cluster، هما: الساكن السابق على الحرفيين المثلين، والحرف الأول من الحرفين المثلين، الذي يسكَّن تمهيداً للإدغام. واجتماع الساكنين أمر مستثقل في العربية وغير مستساغ كما ذكرنا قبل قليل.

وعلى الرغم من عدم جواز الإدغام في هذه الحالة، إلا أن سيبويه لا يمانع من إخفاء حركة الحرف الأول من الحرفين المثلين المتحركين بوساطة اختلاسها، ولكنها تبقى، مع ذلك، بزنة الحرف المتحرك[1].

وقد أجاز أبو عمرو بن العلاء الإدغام في مثل هذه الحالة، فنسبت إليه كتب القراءات الإدغام في قوله تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ

(١) الكتاب. ٤/ ٤٣٨.

obeikandl.com

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ ﴾[1] وذلك بإدغام الباء المسبوقة بحرف ساكن صحيح في كلمة "ٱلرُّعۡبَ"، في الباء التي بعدها في "بِمَآ". كما نسبت إليه الإدغام في قوله تعالى أيضاً: ﴿ وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾ ﴾[2] وذلك بإدغام السين المسبوقة بحرف صحيح ساكن في كلمة "ٱلشَّمۡسَ" في السين التي بعدها في كلمة "سِرَاجٗا".

ج)إذا سبق أول الحرفين المثلين بحرف ساكن مدغم لم يجز الإدغام، وجاز الإخفاء، وذلك مثل: مررتُ بوليّ يزيد، وعدوّ وليد. والسبب في ذلك يعود إلى أن الإدغام قد أزال المدّ الذي كان في الساكن المدغم، فصار بمنزلة الساكن الصحيح. مثل: ظبْيُ ياسر، ودلْو واقد. يقول سيبويه: "وإذا قلت مررت بوليِّ يزيد، وعدوِّ وليد، فإن شئت أخفيت، وإن شئت بينت، ولا تسكِّن، لأنك حيث أدغمت الواو في عدوّ، والياء في وليّ، فرفعت لسانك رفعة واحدة ذهب المد، وصارتا بمنزلة ما يدغم من غير

(١) آل عمران: ١٥١. يُنظر: كتاب الممتع في التصريف. ٢/ ٧١٩.

(٢) نوح: ١٦. يُنظر: كتاب الممتع في التصريف. ٢/ ٧٢٥.

المعتل، فالواو الأولى في عدوٍّ بمنزلة اللام في دَلْوٍ، والياء الأولى [في وليٍّ] بمنزلة الياء في ظبْيٍ"[1].

ويبدو لنا أن السبب في عدم جواز الإدغام، في هذه الحالة، يرجع إلى أن حدوثه من شأنه أن يسكن أول المثلين، مما يؤدي إلى التقاء ساكنين، هما: الحرف الأول من المثلين، والحرف السابق عليه، وهذا أمر تفر منه العربية ولا تستسيغه، كما قلنا سابقاً. ومن ناحية أخرى، فإنّ حدوث الإدغام في مثل هذه الحالة، سوف يؤثر في الإدغام الحاصل في داخل الكلمة الأولى، فيؤدي إلى فكِّه، مع العلم بأن الإدغام في الكلمة الواحدة أولى منه بين كلمتين.

ملحوظـات:

يتضح، مما سبق، أنّ الإدغام في الحرفين المثلين المنفصلين – عند سيبويه يستند- فيما يبدو لنا- إلى بعض الأصول والقواعد الصوتية، ومنها:

١. استثقال توالي صوامت متلوة بحركات دون أن تتخللها صوامت ساكنة. وقد نصّ سيبويه – وغيره من اللغويين العرب

(١) الكتاب. ٤/ ٤٤٢.

obeikandl.com

القدامى-على أنه "كلما توالت الحركات أكثر، كان الإدغام أحسن"[1]. ويؤيد الاتجاه العام للغة العربية – في هذا المجال- ما ذهب إليه سيبويه، وهو النفور من توالي المتحركات في الكلام بعامة وعدم استساغته. وقد ذكر اللغويون العرب أنّ الفعل الماضي – على سبيل المثال- يُبنى على السكون في حالة اتصاله بضمير رفع متحرك بارز، وذلك بسبب كراهية توالي أربع حركات فيما هو كالكلمة الواحدة. يقول الأزهري في هذا الصدد:" وأما ضربت ونحوه مما اتصل بضمير رفع متحرك بارز فالسكون فيه عارض أوجبه كراهتهم، أي العرب، توالي أربع متحركات، وهي أحرف الفعل الثلاثة، وتاء الفاعل فيما هو كالكلمة الواحدة"[2]. وفي العروض العربي يمتنع أيضاً تتالي أكثر من ثلاثة مقاطع قصيرة وتعد التفعيلة "مُتَعِلُن"، وهي إحدى صور التفعيلة "مستفعلن" أكثر التفعيلات العروضية اشتمالاً على صوامت متحركة، وهي قليلة الاستعمال.

٢. وفي مقابل ذلك، فإنّ الإدغام يمتنع إذا أدى تطبيقه إلى توالي صوامت ساكنة؛ وهو ما يطلق عليه الدرس الصوتي الحديث العناقيد

---

(١) الكتاب. ٤/ ٤٣٧. وكذلك: ابن عصفور: الممتع في التصريف. ٢/ ٦٥١. وكذلك: ابن يعيش: شرح المفصل. ١٠/ ١٢٢.

(٢) خالد الأزهري: شرح التصريح على التوضيح. ١/ ٥٠.

الفونيمية، كما ذكرنا سابقاً. فاللغة العربية، التي تنفر من توالي المتحركات، تنفر أيضاً من توالي السواكن، الأمر الذي يحول –كما قلنا– دون حدوث الإدغام الذي يستتبع تسكين أول الحرفين المدغمين . ولهذا، فإنّ معظم الحالات التي امتنع فيها الإدغام، عند سيبويه، كان توالي الصوامت الساكنة سبباً فيها.

٣. يُعد وجود حركات مد طويلة، قبل الحرفين المثلين المنفصلين، أو بعدهما، من العوامل التي تشجع حدوث الإدغام عند سيبويه. ولعل السبب في ذلك يعود إلى صعوبة الجمع بين حركات المد ذات النطق الحر المريح ذي المدة الطويلة، والنطق بصوامت متماثلة متلوة بحركات قصيرة في آن واحد. ولهذا فإنّ إدغام المثلين يحقق –فيما يبدو لنا– نوعاً من التماثل بين الأصوات المتجاورة في صفة الطول أو الكمية Length/ Duration، التي لا تقتصر على الحركات فحسب، وإنما تشمل الصوامت أيضاً، حيث يُعد الحرف المشدد، أو المضعف صوتاً واحداً طويلاً يساوي زمنُه زمنَ صوتيين اثنين. وفي هذا يقول كانتينو، في تعريفه للحروف المضعفة، بأنّ النطق بها يمتد فيضاهي مداها مدى حرفين بسيطين تقريباً[1]. وقد قرر، من قبله، صاحب مراح الأرواح، أنّ الإدغام هو إلباث الحرف في مخرجه مقدار إلباث حرفين، وأن الحرف

(١) كانتينو: دروس في علم أصوات العربية. ص: ٢٥.

المشدد زمانه أطول من زمان الحرف الواحد، وأقصر من زمن الحرفين[1].

٤. يؤدي سبق الحرفين المثلين بالواو والياء، بوصفهما نصفي حركة، أو نصفي صامت، كما في ثوْب بكر، وجيْب بكر، إلى إمكان تطبيق حالة اعتبار الإدغام ممتنعاً، وذلك لوجود صفة "الصامتية" في الواو والياء. وكذلك يمكن انطباق حالة اعتبار الإدغام جائزاً بين الحرفين المثلين، وذلك في حالة توافر صفة "الحركية" في الواو والياء. ويبدو لنا، بناءً على هذا، أنّ الواو والياء، في الحالة الأولى، وهي حالة منع الإدغام، تكون جزءاً مما يُسمى بالحركة المزدوجة Diphthong أَوْ، وأَيْ. هكذا: ثَوْب، وجَيْب، في حين تكون الواو والياء، في الحالة الثانية، وهي حالة جواز الإدغام، حركة مد طويلة هكذا: ثُوب وجِيب.

٥. يعد اجتماع الحرفين المثلين اللذين أولهما ساكن، سواء أكان هذا الساكن حرفاً صحيحاً، أم نصف حركة، من موجبات الإدغام، نحو: احمَدْ داود، واذهبْ بنا، واخشوْا واقداً، واخشيْ ياسراً. والسبب في ذلك راجع إلى "أنك إنما ترفع لسانك – كما يقول سيبويه– من موضع هما فيه سواء وليس بينهما حاجز"[2]، وإضافة إلى ذلك ، فإن الإدغام بين أنصاف الحركات المتماثلة ، على نحو خاص في مثل : اخشوْا واقداً،

(١) ديكنقوز: شرح مراح الأرواح في علم الصرف. ص: ٨٢، ٨٣.

(٢) الكتاب. ٤/ ٤٤٢.

وأخشي يّاسراً، من شأنه أن يمنح أنصاف الحركات، التي تعدُّ صوامت ضعيفة Weak Consonants[١]، قوة، بل إن من شأن ذلك أن يحول نصف الحركة المشدد، أو المضعف ويصيّرها " كالحرف الصحيح "[٢] فيتحقق بذلك الهدف المنشود من الإدغام، وهو تحقيق التخفيف في النطق "وذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا له، فصار ذلك تعباً عليهم أن يداركوا في موضع واحد ولا تكون مهلة، كرهوه وأدغموا لتكون رفعة واحدة، وكان أخف على ألسنتهم"[٣].

٦. ذهب سيبويه إلى امتناع الإدغام في حالة التقاء همزتين في كلمتين منفصلتين. ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن "عملية النطق بها (أي الهمزة)، وهي محققة، من أشق العمليات الصوتية لأن مخرجها فتحة المزمار التي تنطبق عند النطق بها، ثم تنفتح فجأة، فنسمع ذلك الصوت

---

(١) د. عبد الصبور شاهين : القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص:٤٣-٤٤، وينظر أيضاً :

- هنري فليش ، العربية الفصحى ، ص:٣٩ .

- هنري فليش ، فقه العربية ، ص:٦٥ .

-Beeston ,A.F.L. The Arabic Language Today ,P:19.

(٢) الرضي : شرح الشافية ٣/ ٧٨، ١٩٢.

(٣) الكتاب. ٤/ ٤١٧.

الانفجاري التي نسميه بالهمزة المحققة"[1]. وبناء على هذا، فإنّ النطق بهمزتين متواليتين محققتين يزيد من صعوبة النطق بهذا الصوت[2]، كما أن الإدغام لا يساعد كثيراً في التخلص من صعوبة النطق بالهمزتين محققتين.

وصحيحٌ أن "إدغام الحرف في الحرف، أخف على الناطقين من إظهار الحرفين – كما يقول ابن جني- نظراً لأن اللسان ينبو عنهما نبوة واحدة"[3] ، إلا أن النطق بالهمزتين المدغمتين يقتضي جهداً أكبر من الجهد المبذول في أثناء النطق بالهمزة الواحدة، وذلك عائد إلى طول الزمن الذي يستغرقه النطق بالصوت المشدد. وهذا يعني أن الجهد الذي يحتاج إليه الناطق، في حالة إدغام الهمزتين، سوف يكون مضاعفاً بالنسبة للجهد الذي يحتاجه في أثناء النطق بالهمزة المفردة المحققة، وهو أمر –في حد ذاته – عسير. ولهذا فقد وجدنا "أهل التحقيق يخففون إحداهما ويستثقلون تحقيقهما... كما استثقل أهل الحجاز تحقيق الواحدة، فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا، ومن كلام العرب تخفيف الأولى، وتحقيق الآخرة، وهو قول أبي عمرو...ومنهم من يحقق الأولى

(١) د.إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية. ص:٧٧. ويُنظر أيضاً: الكتاب.٣/ ٥٤٨

(٢) ابن جني : سر صناعة الاعراب ١/ ٧١.

(٣) ابن جني: الخصائص. ٢/ ٢٢٧.

ويخفف الآخرة...وأما أهل الحجاز فيخففون الهمزتين، لأنه لو لم تكن إلا واحدة لخُفِّفت"[١].

٧. وتجدر الإشارة إلى أن الأصل في إدغام الحرفين المثلين المنفصلين – عند سيبويه، وعند غيره من اللغويين أيضاً – هو البيان أبدا[٢]، حتى في تلك الحالات التي يعدها سيبويه نفسه من أكثر حالات الإدغام استحساناً، وهي الحالة، أو الحالات، التي يكثر فيها توالي الحركات؛ فهو في كثير من فواصل حالات الإدغام بين الحرفين المثلين المنفصلين ينص على أن البيان – على سبيل المثال- "عربي جيد حجازي"[٣]، أو أنه "يزداد حسناً"[٤]، أو أنه "في هذا أحسن"[٥]، أو "وإن شئت بينت"[٦].

---

(١) الكتاب. ٣/ ٥٤٩- ٥٥٠.

(٢) السابق. ٤/ ٤٤٣.

(٣) السابق. ٤/ ٤٣٧.

(٤) السابق. ٤/ ٤٣٨.

(٥) السابق. ٤/ ٤٤٠.

(٦) السابق. ٤/ ٤٣٧

obeikandl.com

ويبدو لنا، أن السبب في ذلك عائد إلى أن الكلمة الثانية – كما يقول ابن يعيش- لا تلزم الأولى[1]، فضلاً عن أن البيان وعدم الإدغام من شأنه أن يمكن "مورفيمات" الإعراب التي تُذيَّل بها نهايات الكلمات من الظهور، في حين، يؤدي الإدغام بين الحرفين المثلين المنفصلين إلى خفاء تلك المورفيمات وعدم ظهورها بسبب تسكين أول المثلين الذي يحمل، في العادة، تلك الحركة الإعرابية.

ولعل هذا هو السبب الذي دفع سيبويه إلى القول بأنّ الإدغام بين الحرفين المثلين، المنفصلين يمكن أن يصل إلى مرحلة الوجوب، أو هو واجب فعلاً، إذا جاء أول هذين المثلين ساكناً لأي سبب من الأسباب. ومن الأمثلة التي قدَّمها سيبويه على هذا الذي نتحدث عنه، قوله: اذهبْ بنا، واحمدْ داود، وقوله: اخشوْا واقداً، واخشيْ ياسرا، فقد جاء أول المثلين في هذه الأمثلة – وما كان على شاكلتها- ساكناً لسبب نحوي أو صرفي، مما جعل عملية الإدغام هنا عملية لا يترتب عليها ضياع تلك الحركات الدالة على الوضع الإعرابي أَوْ خفاؤها.

٨. ألحق سيبويه بعض الصيغ المشتملة على حرفين مثلين في حالة الاتصال، بدراسته للحرفين المثلين في حالة الانفصال، ومن الأمثلة التي قدمها سيبويه – في هذا الصدد- بعض الأفعال التي ترد على صيغة

(١) ابن يعيش: شرح المفصل. ١٠/ ١٢٢.

"افتعل"، أو مشتقاتها، والتي تكون عينها تاء من مثل:"اقتتل" و"يقتتل"؛ ففي هذه الحالة، فإن سيبويه يرى امكان البيان والإظهار، وإمكان الإخفاء مع الاحتفاظ بوزن الكلمة على حالها، ثم امكان الادغام في بعض الحالات.

ويستند سيبويه – في تسويغه للبيان، أو الإخفاء، وعدم الإدغام- إلى أن صيغة "افتعل" لا تفترض وجود تاءين (أي حرفين متماثلين) بالضرورة، في الأفعال التي ترد على وزنها كما هو الحال في صيغتي "افعلّ"، وافعالَّ في مثل: احْمَرَّ واحْمارَّ، حيث تشتمل كل صيغة من هاتين الصيغتين، والأفعال التي ترد على وزنها كذلك، على حرفين مثلين بالضرورة مما يوجب وقوع الإدغام فيهما.

أما الإدغام – في هذه الحالة- فقليل، ولا يلجأ إليه إلا بعض العرب. ويستند سيبويه، في امكان وقوعه، إلى أن الحرفين المثلين في مثل: اقتتلوا، ويقتتلون، قد وقعا "في كلمة واحدة، ولم يكونا منفصلين، وذلك قولك: يَقِتِّلون، وقد قِتِّلوا، وكسروا القاف لأنها التقيا... وقد قال آخرون: قَتَّلوا، أَلْقَوْا حركة المتحرك على الساكن، وجاز في قاف (اقتتلوا) الوجهان"[1].

(١) الكتاب. ٤/ ٤٤٣.

ثانياً-الإدغام في الحرفين المثلين غير المنفصلين:

لم يقتصر درس سيبويه وبحثه للقضايا الصوتية في كتابه على الباب الذي خصصه لموضوع الإدغام، وإنما بوسع الدارس أن يجد شيئاً من تلك القضايا مبثوثة في تضاعيف كتابه هنا وهناك. وعلى الرغم من اقتصار درسنا للأصوات لدى هذا العالم على ما ورد عنده في باب الإدغام، إلا أننا أحسسنا – استيفاء للموضوع – بضرورة الإلمام ببعض الجوانب التي عالجها سيبويه في غير باب الإدغام كي تكون القضية جلية واضحة. ومن تلك المواضع المهمة، التي نلمح فيها شيئاً من هذا الذي نذهب إليه، باب التضعيف الذي تناول فيه سيبويه مسألتين هما:

- الإدغام في الحرفين المثلين في الكلمة الواحدة.
- ما يعرض للتضعيف من ظواهر غير الإدغام.

وسنحاول – فيما يأتي- تناول هاتين المسألتين على نحو موجز:

١) الإدغام في الحرفين المثلين في الكلمة الواحدة:

نص سيبويه – في مستهل باب التضعيف[1]- على أن المسوغ الذي دفع الناطقين بالعربية – أو لنقل بعضهم- إلى إجراء الإدغام في

(١) يقصد سيبويه بالتضعيف، أن يكون آخر الفعل حرفان من موضع واحد. يُنظر: الكتاب. ٣/ ٥٢٩.

المضعف، يستند إلى أنه "يثقل عليهم (أي على الناطقين) أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا له، فلما صار ذلك تعباً عليهم أن يداركو في موضع واحد، ولا تكون مهلة كرهوه وأدغموا، لتكون رفعة واحدة، وكان أخف على ألسنتهم"[1]. وقد تناول شيخنا قضية الإدغام في المضعف على النحو الآتي:

أ) في الأفعال التي تتماثل فيها العين واللام:

أولاً: إذا تحركت لام الفعل وجب الإدغام. وهذا يستتبع – بالضرورة– تسكين العين تمهيداً للإدغام. ويتفق في هذا الإجراء – كما ذكر سيبويه– كل من الحجازيين والتميميين. ويعود السبب في ذلك – كما ذكرنا سابقاً– إلى أنه لما كان الحرفان المثلان "من موضع واحد ثقل عليهم أن يرفعوا ألسنتهم من موضع ثم يعيدوها إلى ذلك الموضع

(١) الكتاب. ٤/ ٤١٧. وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الظاهرة ليست خاصة باللغة العربية، وإنما هي ظاهرة موجودة في لغات أخرى كاللغة الإنجليزية؛ ففي حالة اجتماع صوتين مثلين في داخل الكلمة، في الإنجليزية، ويكون هذان الصوتان من الأصوات الأنفية، أو الاحتكاكية، أو الجانبية، فإنهما ينطقان صوتاً واحداً طويل المدة، ومن الأمثلة على ذلك كلمة Unnecessary.

يُنظر: Daniel Jones, The Pronunciation of English. P:145

للحرف الآخِر ، فلما ثقل عليهم ذلك أرادوا أن يرفعوا رفعة واحدة"[1]. ومن أمثلة ذلك الفعلان: مدّ، وردَّ، وما كان على شاكلتهما. ويتم الإدغام في هذا المضعف على النحو التالي: مَدَدَ ← مَدْدَ ← مَدَّ.

madda ← madada

ثانياً: أما إذا وردت لام الفعل ساكنة لسبب نحوي، على سبيل المثال، وذلك في نحو:" لم يمدُدْ" ونحو "ارْدُدْ"، فإنّ الحجازيين يختلفون مع التميميين في إجراء الإدغام على النحو التالي:

أ. يمنع الحجازيون الإدغام[2] ويجرون الفعل على الأصل، فيسكنون لام الفعل بحكم موقعه الذي ورد فيه، وهو الجزم. وهم يستندون في قولهم، بعدم الإدغام، إلى أنه – أي الإدغام- يقتضي منهم اسكان العين، وهي أول الحرفين المثلين، مما يؤدي إلى اجتماع مثلين ساكنين في كلمة واحدة، وهذا – كما هو معلوم- أمر تأباه العربية وتفرُّ منه.

ب. أما التميميون فيدغمون، ويعمدون – من أجل ذلك- إلى اسكان أول الحرفين المثلين وتحريك الآخر، "لأنهما لا يسكنان جميعاً"[3]،

---

(١) الكتاب. ٣/ ٥٣٠.

(٢) السابق. ٣/ ٥٣٠، ٤/ ٤١٨.

(٣) السابق. ٣/ ٥٣٠، ٤/ ٤١٨.

و"ليرفعوا ألسنتهم رفعة واحدة"[١]. ويتم ذلك عند التميميين على النحو الآتي:

١. إذا كان الحرف السابق للحرف الأول من الحرفين المثلين ساكناً، فإننا نلقي عليه حركة أول المثلين، سواء أكانت تلك الحركة فتحة، أم ضمة، أم كسرة. ويتم ذلك على النحو التالي

لم يَرْدُدْ ← لم يَرُدْدَ ← لم يَرُدَّ[٢]:

lam/ ya/rud/da ← lam/ yar/dud

٢. أما إذا كان الحرف السابق للحرف الأول من الحرفين المثلين همزة وصل، فإنها تحذف" لأنه قد استغني عنها حيثُ حُرِّكَ، وإنما احتيج إليها لسكون ما بعدها"[٣].

وذلك نحو: ارْدُدْ ← رُدْدَ ← رُدَّ

rudda ← ʾurdud

٣. وإذا وجد فاصل بين أول الحرفين المثلين، وهمزة الوصل، فإن حركة الحرف الأول، من الحرفين المثلين، تلقى على الساكن السابق عليه دون أن تتعرض همزة الوصل إلى الحذف؛ "لأن الحرف الذي بعده ألف

---

(١) الكتاب. ٤/ ٤١٨.

(٢) السابق. ٣/ ٥٣١.

(٣) السابق. ٣/ ٥٣١.

obeikandl.com

الوصل ساكن"[1] وذلك نحو: اسْتَعْدِدْ ←اسْتَعِدْد←استَعِدَّ.

ʾistaʿidda ← ʾistaʿdid

٤. أمّا إذا كان الحرف السابق، لأول الحرفين المثلين متحركاً، وكانت الكلمة مبدوءة بهمزة وصل. فإنّ حركة الحرف السابق لأول المثلين تبقى على حالها، كما تبقى همزة الوصل في بنية الكلمة؛ "لأن الذي بعدها لم يحرك"[2] ثم يجري الإدغام في الحرفين المثلين. ومن الأمثلة على ذلك: اجْتَرِر ← اجترَّ.

ʾigtarra ← ʾigtarir

٥. إذا وقع قبل أول الحرفين المثلين ألف، وكانت الكلمة مبدوءة بهمزة وصل، فإنّ هذه الألف تبقى على حالها؛ لأنها – كما يقول سيبويه- قد ترد متلوة بساكن مدغم. والواقع أن هذه الألف التي يتحدث عنها سيبويه هنا، والتي تقع قبل الساكن المدغم كما ذكر، هي في الحقيقة حركة طويلة، وليست حرفاً ساكناً، كما اعتقد القدماء، فلا خشية، من ثمة، من التقاء ساكنين على نحو ما كانوا يظنون.

أما بالنسبة لهمزة الوصل، فإنها تبقى على حالها أيضاً؛ "لأن

---

(١) الكتاب. ٣/ ٥٣١.

(٢) السابق. ٣/ ٥٣١-٥٣٢.

الساكن الذي بعدها لا يحرك"[1]. ومن الأمثلة على ذلك اشهابَّ، واحمارَّ.

٦. وإذا وقع قبل أول الحرفين المثلين ألف – أي فتحة طويلة– ولم تكن الكلمة مبدوءة بهمزة وصل، نحو: لا تضارَّ، ولا تجارّ... فإنّ هذه الألف تبقى على حالها. كما أن بنية الكلمة، وإدغامها لا يتأثران بالجزم، فيبقيان كما كانا عليه في حالة قبل الجزم.[2]

٧. وإذا كانت الكلمة مبدوءة بهمزة قطع، وكان الحرف السابق لأول المثلين ساكناً، فإننا نحتفظ بهمزة القطع، ثم ننقل حركة أول المثلين إلى الحرف الساكن قبله، ثم يجري الإدغام[3]، وذلك نحو:

أَمْدِد ⟵ أَمِدَّ. وأَعْدِد⟵أَعِدَّ.

ʿamdid ⟵ ʿamidda و ʿaʿdid ⟵ ʿaʿidda

ثالثاً: وإذا كانت صيغة الفعل تقتضي مضاعفة العين، فضلاً عن كون العين واللام حرفين مثلين، فإنّ من الضروري اسكان العين الأولى وإدغامها في العين الثانية. ومن أمثلة ذلك الفعل "ردَّدَ" بزنة فَعَّلَ. وتجدر الإشارة إلى أنه لا يجوز إدغام العين الثانية في لام الفعل على الرغم

---

(١) الكتاب. ٣/ ٥٣٢.

(٢) السابق. ٣/ ٥٣٢.

(٣) السابق. ٣/ ٥٣٢.

من تماثلهما، نحو:"رَدَدَّ"؛ لأنّ هذا لا يحل مشكلة التضعيف، التي لا تزال في هذه الصيغة "رَدَدَّ" قائمة على نحو ما هي قائمة في الصيغة "رَدَّدَ"، فضلاً عن أن نظام اللغة العربية –في أفعالها وأسمائها جميعاً– لا يسمح بأن ترد العين الأولى متحركة وبعدها العين الثانية؛ لأن "العين الأولى تكون أبداً ساكنة في الاسم والفعل فكرهوا تحريكها"[1].

ب) في الأسماء:

١) في الأسماء المزيدة على ثلاثة أحرف:

تعامل هذه الأسماء– كما ذكر سيبويه– معاملة الفعل المكون من أربعة أحرف، وذلك عائد إلى ما في هذه الأسماء – مثل ما في الأفعال– من الاستثقال والصعوبة في النطق. ويتم الإدغام، في هذا النوع من الأسماء، على النحو الآتي:

أ. إذا كان الحرف السابق على أول الحرفين المثلين ساكناً، فإننا نلقي عليه حركة الحرف الأول من الحرفين المثلين كائنة ما كانت تلك الحركة، مما يؤدي إلى إسكان أول المثلين تمهيداً لإدغامه في مثله التالي له. وذلك نحو: مُسْتَرْدِد ← مستَرِدْد ← مسترِدّ.

ونحو: mustardid ← mustaridd

(١) الكتاب. ٤/ ٤١٨.

مُسْتَعْدَد ⟵ مُسْتَعَدْد ⟵ مُسْتَعَدّ.

ونحو mustaᶜadd ⟵ mustaᶜdad

مُدْقُق ⟵ مُدُقْق ⟵ مُدُقّ [1]:

muduqq ⟵ mudquq

أَلْدَدُ ⟵ أَلَدْدُ ⟵ أَلَدُّ.

ʾaladdu ⟵ ʾaldadu

أَشْدَدُ ⟵ أَشَدْدُ ⟵ أَشَدُّ.

ʾašaddu ⟵ ʾašdadu

ويستند سيبويه، في التحولات الداخلية التي يجريها على بنية هذه الكلمات، وما كان على غرارها، إلى أن إجراء الإدغام يستدعي اسكان الحرف الأول من الحرفين المثلين، مما يؤدي إلى التقاء حرفين ساكنين، أولهما: الحرف السابق على أول المثلين. وثانيهما: أول الحرفين المثلين الذي سكن تمهيداً لإدغامه في مثله. وهذا أمر تأباه العربية وتفر منه.

ب. إذا كان الحرف السابق على أول الحرفين المثلين متحركاً بحركة قصيرة، أو بحركة طويلة، وهي التي يطلق عليها سيبويه، ومعه التراث اللغوي للعربية، اسم الألف[2]، فإنّ الحركة القصيرة أو الطويلة تبقى على حالها، ثم يجري اسكان أول المثلين تمهيداً لإدغامه في مثله التالي

(١) المدق: هو حجر يدق به الطيب. اللسان مادة "دقق"

(٢) الكتاب. ٤/ ٤١٩.

obeikandl.com

له، وذلك نحو: مُرْتَدِدٌ ⟵ مرتَدْدٌ ⟵ مُرْتَدٌّ.

murtadidun ⟵ murtaddun. ونحو:

رادِدٌ ⟵ رادْدٌ ⟵ رادٌّ.

raadidun ⟵ raaddun

ويستند سيبويه، في محافظته على الحركتين القصيرة والطويلة السابقتين على أول المثلين، إلى أنَّ الإسكان، الذي يتعرض له الحرف الأول من الحرفين المثلين تمهيداً لإدغامه في مثله التالي له، لا يؤدي إلى ساكنين على نحو ما كان عليه الوضع في الحالة السابقة.

ومما يؤكد ضرورة وقوع الإدغام في مثل رادّ، ومادّ، استحالة التخلي عن أيٍّ من الدالين الواقعتين بعد الفتحة الطويلة التي يسميها سيبويه – كما قلنا– ألفاً، خلافاً للنونين الواقعتين بعد الفتحة الطويلة في مثل يضربانني، حيث يمكن التخلص من الاستثقال الحادث من اجتماع النونين هنا، بحذف النون الأخيرة كما يقول سيبويه[1]، في حين يمكن تخفيف الاستثقال الحادث من اجتماع الدالين في الأمثلة التي قدمها سيبويه بوساطة ادغامهما معاً لا حذف إحداهما.

ولعل السبب الذي دفع سيبويه إلى إجازة حذف إحدى النونين، أو النون الأخيرة –على وجه التحديد– في يضربانني، وما كان على

(١) الكتاب. ٤/ ٤١٩.

شاكلتها ، وعدم جواز حذف إحدى الدالين في رادّ، وما كان على غرارها، يعود إلى أن جواز الحذف في الحالة الأولى، لا يؤثر في الفئة الشكلية للكلمة Form Class[1]، وهي الفعل هنا، في حين يؤدي الحذف، في الحالة الأخيرة، إلى المسِّ بالفئة الشكلية للكلمة، وهي الاسم هنا، مما يؤدي إلى حدوث لبس في بنى الكلمات ودلالتها أيضاً.

٢) في الأسماء الثلاثية: قسم سيبويه هذا النوع من الأسماء إلى قسمين:

أ. أسماء ذات صيغ مشتركة مع الأفعال[2]:

---

(١) نقصد بالفئة الشكلية Form Class، مجموعة من الكلمات ذات سمة مشتركة، كالأسماء، أو الصفات، أو الأفعال، بحيث تأخذ في الغالب لواصق معينة، أو تكون ذات توزيع موقعي متشابه. يُنظر:
Ronald Wardhaugh, Introduction to Linguistics, PP 337, 241-242.
أو هي مجموعة من الكلمات تحظى بأَدْوار متشابهة من حيث إمكان ورودها في تأليف أشكال أكبر. يُنظر:
Charles C. Hockett, A course in modern Linguistics. P. 162.

(٢) جاء في نسخة الكتاب، التي حققها أستاذنا عبد السلام هارون، قوله: "فأما ما جاء على ثلاثة أحرف لا زيادة فيه، فإن كان يكون فَعِلا..." ٤/ ٤١٩، والصواب –في رأينا– هو: فإن كان يكون فِعْلاً، وذلك حتى يرد الكلام التالي للقاعدة التي وضعها سيبويه منسجماً معها، وحتى تكون هذه=

إذا وردت هذه الأسماء على زنة "فَعِل" أو "فَعُل" أو "فَعَل" فإنّ الأسماء، التي ترد على وزن الصيغتين الأوليين ، يحدث في المضعف منهما إدغام، وذلك بسبب استثقال النطق بالكسرة والضمة، في مثل هاتين الصيغتين المضعفتين، فضلاً عن كون الأسماء المضعفة التي ترد على زنة هاتين الصيغتين المضعفتين محدودة وقليلة العدد بالقياس إلى الأسماء المضعفة ، التي ترد على وزن الصيغة الأخيرة "فَعَل"، التي ترد مضعفة، نظراً لكون الأسماء التي ترد على وزنها كثيرة بالقياس إلى الأسماء المضعفة، التي ترد على وزن الصيغتين الأوليين "فَعِل" و "فَعُل"؛ ولأن هذه الأسماء المضعفة التي ترد مفتوحة الفاء والعين في غاية الخفة على حد قول الرضي[1]، ولأن الكسرة أثقل من الفتحة كما يقول سيبويه[2].

ويقدم سيبويه على ذلك مثالين، هما: صبٌّ، وطبّ، فهما على وزن الصيغة الأولى "فَعِل"، التي تعدّ صيغة مشتركة بين الأفعال والأسماء؛ فكما أن الأصل المضعف لهاتين الصيغتين هو صَبِبٌ، وطَبِبٌ،

=القاعدة منسجمة أيضاً في تقابلها مع القاعدة الثانية التي أوردها سيبويه في مناقشته لهذا الموضوع، وهي القاعدة التي قال فيها:" وأما ما كان على ثلاثة أحرف، وليس يكون فِعْلاً..." ٤/ ٤٢١.

(١) الرضي: شرح الشافية. ٣/ ٢٤٢.

(٢) الكتاب. ٤/ ٤٢٠، ٣/ ٣٣٥.

فإنّ هناك أفعالاً ترد على هذا الوزن، مثل: قَنِع، وقَرِح، ومَذِل[1]. ومن هذا المنطلق، فقد عد سيبويه قول العرب: رجل ضَفِف، وقوم ضَفِفو الحال[2]، نوعاً من الشذوذ، إذ الوجه عنده أن يقال: رجل ضَفٌّ، وقومٌ ضَفُّو الحال [3].

ب. أسماء ليس لها صيغ مشتركة مع الأفعال:

تجري الأسماء، التي ترد على صيغ خاصة بها، وغير مشتركة مع الأفعال، عند سيبويه، على الأصل؛ أي أنها تبقى مضعفة ولا يحدث فيها إدغام. ومن الصيغ، التي قدمها سيبويه، في هذا المجال، صيغ: "فِعَل"، و"فُعَل"، و"فُعُل"، و"فُعُلة". ومن الأمثلة على ذلك، الأسماء: دِرَر، وسُرَر، وسُرُر، وبُلُلة... إلخ [4].

ولعل السبب الذي حال دون الإدغام، في هذه الأمثلة، يعود إلى كونها أسماء مجموعة، وقد اتخذت للدلالة على الجمع مورفيمات حركية

---

(١) المذل: الباذل لما عنده من مال أو سر، وكذلك إذا لم يقدر على ضبط نفسه. اللسان مادة "مذل".

(٢) الضفف: شدة المعيشة، ومن معانيها، أيضاً، العجلة في الأمر. اللسان مادة "ضفف"

(٣) الكتاب.٤/ ٤٢٠. ويُنظر تفصيل ذلك، أيضاً في الكتاب. ٤/ ٣٦-٣٧.

(٤) السابق ٤/ ٤٢١.

خاصة بها ولا غنى عنها، ومن شأن الإدغام ان يؤدي إلى إزالة تلك العلامات الدالة على صفة الجمع فيها. وإضافة إلى ذلك، فإن الإدغام – في حال حدوثه– قد يؤدي إلى إحداث لبس بين صيغها والصيغ الفعلية[1].

٣) ما يعرض للتضعيف من ظواهر غير الإدغام:

عالج سيبويه – في باب ما شذ من المضاعف والأبواب التالية له[2] – بعض ما يعرض للتضعيف من ظواهر غير إدغامية، ومن تلك الظواهر:

أ. الحذف: يقصد بالحذف هنا، اسقاط أحد الحرفين المثلين الواردين في الكلمة المضعفة. ومن الأمثلة التي قدمها سيبويه، في هذا المجال، الأفعال: أَحْسَسْت، وأَحْسَسْن، وَمَسِسْت، وظَلِلْت... إلخ. ففي هذه الأمثلة لا يجوز الإدغام بين الحرفين المثلين؛ لأن ذلك يستدعي اسكان أول الحرفين المثلين، مما يؤدي إلى اجتماع ساكنين، هما: أول الحرفين المثلين المسكن – كما ذكرنا –، ولام الفعل الساكنة. وهذا أمر لا تستسيغه العربية كما ذكرنا في مواضع كثيرة. فلا بدَّ – من ثمَّة – من

(١) ابن يعيش: شرح المفصل. ١٠/ ١٢٣.

(٢) الكتاب. ٤/ ٤٢١.

الإظهار وعدم الإدغام. وفي هذا يقول سيبويه:" وكذلك تفعل به في كل بناء تبني اللام من الفعل فيه على السكون، ولا تصل إليها الحركة، شبهوها بأَقَمْتُ لأنهم أسكنوا الأولى، فلم تكن لتثبت والآخِرَةُ ساكنة"(١).

غير أنّ العرب قد شذوا – كما يقول ابن عصفور– في شيء من ذلك ، فحذفوا أحد المثلين تخفيفاً، لما تعذر التخفيف بالإدغام، والذي يحفظ من ذلك "أَحَسْتُ" و"ظَلْتُ" و"مَسْتُ"(٢). ويعد سيبويه الأصل – أي التضعيف وعدم الحذف – عربياً كثيراً، أما الحذف فيعدّه شاذاً، ثم ينص على أنه لا يعلم شيئاً من المضاعف شذ... إلا هذه الأحرف"(٣).

ب. الإبدال: يقصد بالإبدال هنا، قلب أحد الأحرف المتماثلة في الكلمة المضعفة إلى ياء، ومن الأمثلة التي قدمها سيبويه في هذا المجال، قوله: تَسَرَّيْت، وتظنَّيْت، وتقصَّيْت، وأمْلَيْت(٤).

وتعد ظاهرة الإبدال، التي عرضها سيبويه، في هذا الموضع من كتابه، جزءاً من ظاهرة لغوية تعرف باسم المخالفة Dissimilation،

---

(١) الكتاب. ٤/ ٤٢١.

(٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف. ٢/ ٦٦١.

(٣) الكتاب. ٤/ ٤٢٢.

(٤) السابق. ٤/ ٤٢٤، وينظر أيضاً : القالي : كتاب الأمالي ٢/ ١٦٧.

وهي لون من ألوان التطور الذي يعرض للأصوات اللغوية، ويقصد بها "أنه إذا كان هناك صوتان متماثلان تماماً في كلمة من الكلمات، فإنَّ أحدهما قد يتغير إلى صوت من أصوات العلة الطويلة في الغالب، أو إلى صوت من الأصوات المائعة، ولا سيما اللام، والنون، والميم، والراء"(١). "والسر في هذا أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى مجهود عضلي للنطق بهما في كلمة واحدة، ولتيسير هذا المجهود العضلي يُقلب أحد الصوتين إلى تلك الأصوات التي لا تستلزم مجهوداً عضلياً كأصوات اللين وأشباهها"(٢).

وقد ذهب سيبويه إلى أن هذا النوع من الإبدال شاذ، وأن "التضعيف فيه عربي كثير جيد" (٣).

ت. المحافظة على التضعيف: عرض سيبويه، في باب تضعيف اللام في غير ما عينه ولامه من موضع واحد...(٤)، بعض الحالات التي

---

(١) د. رمضان عبد التواب: لحن العامة والتطور اللغوي. ص: ٤٠. وكذلك:
– د. ابراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ص:٢١١.
Brosnahan & Malmberg, Introduction to Phonetics, P. 134.

(٢) د. ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية. ص: ٢١١.

(٣) الكتاب. ٤/ ٤٢٤.

(٤) السابق. ٤/ ٤٢٤.

يحافظ فيها على التضعيف ، ويمنع معها الإدغام . وفيما يأتي – توضيح ذلك :

يحافظ على التضعيف إذا كان الحرف الثاني من الحرفين المثلين في الكلمة – اسماً كانت أو فعلاً – حرفاً زائداً فيها بهدف إلحاقها بصيغة أخرى، فضلاً عن كون الحرف الأول من الحرفين المثلين في الكلمة متحركاً ومسبوقاً بحرف ساكن. ومن الأمثلة التي قدمها سيبويه في هذا الصدد، الأسماء التالية: قَرْدَد، وقُعْدُد، وقُعْدَد، ورِمْدِد، فهذه الكلمات ملحقة بالصيغ: جَعْفَر، وجُعْشُم، وجُنْدَب، وزِهْلِق. على التوالي، ومن الأمثلة على ذلك أيضاً، الأفعال التالية: جَلْبَب، وشَمْلَل، فهاتان الكلمتان ملحقتان بالصيغة دَحْرَج، ومن الأمثلة على ذلك أيضاً، الأسماء التالية: عَفَنْجَج، وسَبَهْلَل، وقَفَعْدَد، فهذه الكلمات ملحقة بالصيغتين جَحَنْفَل، وهَمَرْجل على التوالي [1].

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً، الفعل: اقْعَنْسَسَ، فهي ملحقة بالصيغة

(١) الكتاب. ٤/ ٤٢٥-٤٢٦.

احْرَنْجَم[1].

(١) نقدم –فيما يأتي– معاني بعض الصيغ التي وردت، في أثناء هذه الدراسة. وسنعتمد –في ذلك– على بعض المعاجم كلسان العرب والمعجم الوسيط، وما أورده ابن جني من شروح في المنصف ج/ ٣.

- قردد: ما ارتفع من الأرض وغلظ.
- قعدد: من معانيها الجبان اللئيم القاعد عن الحرب والمكارم.
- رمدد: المتناهي في الاحتراق والدقة.=
- =جعفر: النهر عامة، وقيل النهر الملآن، وبه شبهت الناقة الغزيرة.
- جعشم: من معانيها: الصغير البدن القليل لحم الجسد، وقيل: هو المنفتح الجنبين الغليظهما.
- جندب: ضرب من الجراد، واسم رجل...
- زهلق: موضع النار من الفتيل، والسراج ما دام في القنديل.
- جلبب: ألبس الجلباب، وهي الملحفة.
- شملل: ألبس شملة.
- عفنجج: الأخرق الجافي الذي لا يتجه لعمل، وقيل الأحمق فقط.
- سبهلل: السبهلل الرجل الفارغ، والنشيط الفرح، والأمر أو الشيء الذي لا ثمرة فيه.
- قفعدد: اسم موضع، وقالوا هو الرجل القصير.
- جحنفل: الغليظ، وهو أيضاً الغليظ الشفتين.
- همرجل: الجواد السريع، أو هو كل خفيف سريع، أو الجمل الضخم.
- اقعنسس: خرج صدره، ودخل ظهره خِلْقَةً أو تأخر ورجع إلى خلف.=

obeikandl.com

ففي هذه الأمثلة المضعفة يمتنع إدغام المثلين، نظراً لكون أحدهما -كما ذكرنا قبل قليل- زائداً فيها بهدف إلحاقها بغيرها من الصيغ، ولو حدث بين الحرفين المثلين إدغام لاستتبع ذلك تغييراً في بنية الملحق عن البنية التي أُلحق بها.

ولتوضيح ذلك نقول: إنّ الإدغام في مثل "قَرْدَد" الملحقة بـ "جَعْفَر" يؤدي إلى خلق البنية "قَرَدّ" ويتطلب هذا، في حالة حدوثه، تحريك حرف الراء المقابل لحرف العين الساكن في جَعْفَر واسكان حرف الدال الأول المقابل لحرف الفاء المتحرك في جعفر أيضاً، وهذا يعني، كما قال ابن عصفور، وضع متحرك في مقابلة ساكن، ووضع ساكن في مقابلة متحرك[1]. فضلاً عن كون البنية الناتجة وهي "قَرَدّ" غير موازنة للبنية، التي تم الإلحاق بها، وهي جَعْفَر.

كما أننا لو أدغمنا المثلين في مثل "جلبب" لكانت البنية الناتجة "جَلَبّ" حيث نسكن الحرف الأول من الحرفين المثلين، وننقل حركته إلى الساكن قبله، مما إلى إخراج الصيغة الناتجة عن كونها موازنة للبنية التي الحقت بها، وهي دحرج.

- =احرنجم: احرنجم القوم ازدحموا، واحرنجم الرجل: أراد الأمر ثم كذَّب عنه.

(١) ابن عصفور: الممتع في التصريف. ٢/ ٦٤٩.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنّ أول المثلين في هذه الأمثلة ورد مسبوقاً بحرف ساكن، ولو حدث فيها الإدغام لاستوجب ذلك اسكان الحرف الأول من الحرفين المثلين، الأمر الذي يؤدي إلى اجتماع ساكنين، وهذا وضع تنفر منه العربية وتأباه كما ذكرنا غير مرَّة.

أما الكلمات التي تتألف من أربعة أحرف أو خمسة أحرف، والتي تشتمل على حرفين مثلين – أسماء كانت أم أفعالاً – ولم تكن ملحقة بصيغة أخرى، فإنّ الإدغام يقع في الحرفين المثلين فيها. ومن الأمثلة التي قدمها سيبويه – في هذا الصدد– الأفعال: احمرَّ، واشهابَّ، واطمأنَّ، واقشعرَّ. فهذه الكلمات ليس لها – كما قال سيبويه– نظير في باب الأربعة ، وليس لها نظير أيضاً في الخمسة ، ولهذا فقد تم الإدغام فيها، وذلك "لأنه ليس في الكلام (احرَجَمْتُ) ولا (احراجَمْتُ) فيكون ملحقاً بهذه الزيادة... وليس في بنات الخمسة مثل (اسفرجل)، ولا فعل ألبتة، فيكون هذا ملحقاً بتلك الزِّنة، كما كان اقعَنْسَسَ ملحقاً باحرَنْجمَ، وتجلْبَبَ ملحقاً بتَدَحْرَجَ، فكما لم يكن لأحْمَرَّ واشهابَّ نظيرٌ في الأربعة فأدغم، كذلك أُدغم هذا إذ لم يكن له نظير في الخمسة"[1].

(١) الكتاب. ٤/ ٤٢٦.

ويمكننا صياغة المبادئ التي استند إليها سيبويه في تفسيره للأمثلة، التي أرودها في هذا المجال من حيث المحافظة على التضعيف وعدم الإدغام، أو من حيث وقوع الإدغام على النحو الآتي:

إذا كان للكلمات، ذات الحرفين المثلين الأخيرين، نظائر لغوية تلحق بها غير متماثلة الحرفين الأخيرين، وكان لهذه الكلمات ونظائرها صيغ صرفية معينة يمكن أن تندرج في اطارها، فإنّ القاعدة هي المحافظة على التضعيف، وعدم الإدغام وذلك بهدف المحافظة على إلحاق هذه الكلمات بالبنى المناظرة لها، والمحافظة على السمات الصوتية والصرفية للبنية العامة بحركاتها وسكناتها؛ فكلمة "قَرْدَد" – على سبيل المثال- تناظر في اللغة كلمتي جَعْفَر وسَلْهَب[1] اللتين أُلحقت بهما تلك الكلمة، وهذه الكلمات الملحقة والملحقة بها تنتمي إلى الصيغة الصرفية "فَعْلَل". وقد ظلت كلمة "قَرْدَد" – وما كان على شاكلتها في الإلحاق- ملتزمة بالتضعيف وعدم الإدغام، حتى تبقى محافظة على السمات الصوتية والصرفية التي تربطها بنظائرها من الكلمات الملحقة بها ضمن البنية أو الصيغة المشتركة "فعلل".

(١) سلهب: السلهب الطويل عامة. وقيل: هو الطويل من الرجال، وقيل هو الطويل من الخيل والناس.

obeikandl.com

أما إذا لم يكن للكلمة ذات المثلين الأخيرين نظائر غير متماثلة الحرفين الأخيرين في اللغة لتلحق بها، فإن القاعدة تنص على ضرورة الإدغام، وذلك في مثل احمرَّ، واشهابَّ، واقشعرَّ... إلخ.

وقد حاول سيبويه أن يقدم بعض الأقيسة للحالات التي يحافظ فيها على التضعيف والحالات التي يقع فيها الإدغام:

أ. إذا كانت الصيغة التي يراد تطبيقها على متماثل العين واللام ثلاثية، ومشتملة على أمثلة من أفعال غير متماثلة العين واللام، وهي مستعملة في اللغة، فإنّ الإدغام، عندئذ، يقع، أما إذا لم يتحقق ذلك فإن الكلمة تبقى على حالها من حيث التضعيف.

ومن الأمثلة على ذلك صيغة "فَعُل" من الفعل "رَدَدْتُ" فهي "رَدَّ"، بالإدغام، وذلك بسبب وجود أمثلة فعلية مستعملة في اللغة مثل "كَرُم" و"عَظُم".

أما الصيغتان "فُعَل" و"فِعَل" من الفعل "رددتُ" فهي "رُدَد" و"رِدَد" بالتضعيف وعدم الإدغام، وذلك عائد إلى خلو اللغة من أمثلة فعلية مستعملة على زنة "فُعَل"، و"فِعَل"[1].

ويعامل المصدر في كل من "فِعَلان" و"فُعَلان"[1]، كما لو كان كل واحد منهما دون زيادة الألف والنون؛ فيقال في "رددت" "رَدَدان"، و"رُدَدان"

(١) الكتاب. ٤/ ٤٢٧.

دونما إدغام، نظراً لخلو اللغة من صيغتين فعليتين مستعملتين على وزن "فِعَل" و"فُعَل". أما صيغتا "فَعُلان" و"فَعِلان" من "رَدَدْتُ"، فهما "ردَّان" في كل منهما، نظراً لوجود صيغتين فعليتين مستعملتين على وزن "فَعُل" و"فَعِل" في اللغة نحو: كَرُم، وسَمِع[٢].

ب. إذا كانت الصيغة، التي يراد تطبيقها على متماثل العين واللام، غير ثلاثية، وكانت تشتمل على أمثلة لأفعال أوْ أَسماء غير متماثلة العين واللام، فإن الكلمة الناتجة تعامل معاملة تلك الأمثلة من حيث الإدغام وعدمه. ومن هذا المنطلق فإنّ كلمة مثل "ارْدَدَّ" تقاس على الكلمة "احْمَرَّ" من حيث عدم إدغام الدال الأولى في الدال التي بعدها، كما لم تدغم الميم في الراء في "احمرَّ". ومن أَمثلة ذلك أيضاً، قياس كلمة "رِدِّدٌ" على "رِمْدِدٌ" من حيث عدم إدغام الدال الثانية في الدال التي بعدها، وكذلك كلمة "رَددَّدٌ" التي لا تدغم فيها الدال الأولى في الدال التي بعدها، وذلك قياساً على كلمة "سَفَرْجَل"[٣].

---

(١) الكتاب. ٤/ ٤٢٧.

(٢) السابق. ٤/ ٤٢٧.

(٣) السابق. ٤/ ٤٢٨.

ملحوظـات:

راعى سيبويه، في درسه للإدغام والتضعيف في الحرفين المثلين في الكلمة الواحدة، عدة عوامل منها:

١- منع التقاء صامتين ساكنين: هناك حالات يستتبع عملية الإدغام فيها التقاء ساكنين. ومما يتأثر بهذه الظاهرة الحرف السابق لأول المثلين، إذا ورد ذلك الحرف ساكناً، كما أن همزة الوصل تتأثر بهذه الظاهرة في بعض الأحيان، حيث يؤدي تحريك الحرف التالي لها إلى اسقاطها، في حين تبقى اللغة محافظة عليها إذا بقي الصامت بعدها على حاله من حيث السكون.

٢- ابقاء علامات تدل على الأصل الصرفي للكلمة: تنتقل الحركة الدالة على باب الفعل المضارع – على سبيل المثال- من عين الفعل إلى فائه، وذلك عندما ترد الكلمة المدغمة في حالة جزم. ومن الأمثلة على ذلك ما طرأ على الفعل "لم يَمُدَّ" من نقلٍ لحركة الضم في عينه، وهي الدال الأولى، وإلقائها على فائه وهي الميم. ومن أمثلتها أيضاً، ما طرأ على الكلمة "مُستَعِدّ" حيث حُرِّكت فاؤها – وهي العين- بالكسر الذي كان حركة لعينها قبل الإدغام.

٣- استثقال بعض الحركات: يؤدي استثقال بعض الحركات،

كحركتي الضم والكسر، إلى تشجيع وقوع الإدغام، وذلك على نحو ما حدث في الكلمتين: صَبٌّ، وطِبٌّ، حيث وقع الإدغام في الحرفين المثلين؛ لأن الأصل هو صَبِبٌ، وطَبِبٌ بالكسر، خلافاً لحركة الفتح التي يعدها اللغويون أخف الحركات جميعاً. ففي مثل شَرَر، وطَلَل، لا يحدث إدغام في الحرفين المثلين، نظراً لخفة النطق بالفتحة فيهما، وفيما كان على شاكلتهما. وكذلك، فإنّ الفعل المدغم المجزوم يحرك آخره بالفتحة، دون الكسرة والضمة للسبب ذاته.

٤- المحافظة على السمات الصوتية والصرفية لبعض الصيغ: يلتزم التضعيف وعدم الإدغام في بعض الكلمات، وذلك من أجل المحافظة على السمات الصوتية والصرفية للصيغة التي تعد صيغة إلحاق؛ فالكلمة "قَرْدَدَ" – على سبيل المثال- تلتزم التضعيف وعدم الإدغام؛ لأنها ملحقة بكلمة جَعْفَر، وهي جميعاً ملحقة بصيغة "فَعْلَل".

٥- قياس الأسماء على الأفعال المشاركة لها في الصيغة في بعض الحالات: تتأثر الأسماء، في إدغامها أو تضعيفها، بوجود صيغ فعلية مناظرة لها، أو عدم وجود تلك الصيغ؛ فكلمة صَبٌّ – على سبيل المثال- يدغم فيها الحرفان المثلان، وذلك عائد إلى وجود صيغة فعلية مناظرة لها ومستعملة في اللغة، وهي "فَعِل"، خلافاً لكلمة مثل "سُرُر" التي يحافظ فيها على التضعيف، بسبب خلو اللغة من صيغ فعلية مناظرة مستعملة.